المُحاضرة ٤

أ/ تاريخ نشأة الأدب المُقارَن :

ونقصد هنا هو نشأة الأدب المقارَن في أوروبا ، حيث اكتمل مفهومه وتشعَّبت أنواع البحث فيه ، وصارت له أهمِّيَّة بين علوم الأدب لا تقلُّ عن أهمِّيَّة النَّقد الحديث ، بل أصبحت نتائج عماد الأدب والنَّقد الحديث معاً وفي تتبُّعنا نشأة هذا العلم الحديث من علوم الأدب ، نلمُّ بنظريَّات في النّقد ، وبأسس عامَّة في دراسات تاريخ الأدب ، كان لها أخطر الآثار في ميلاد هذا العلم واكتمال معناه ، ولا غنى لدارس الأدب بعامَّة عن الإلمام بها كما أنَّها جوهريَّة ؛ للوقوف على تطوُّر مفهوم الأدب المقارَن ؛ حتَّى يتيسَّر لنا فهم دراساته الحديثة ومناهج بحثه ومن الطَّبيعي أن يسبق ظهور الأدب المقارَن ـ بوصفه علماً ـ وجود ظواهره المختلفة في الآداب العالميَّة ، أيّ تحقّق التَّأثير والتَّأثُّر بين الآداب ، وأنَّ أقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر وأعظمها نتائج في القديم ؛ هو ما أثَّر به الأدبُ اليوناني في الأدب الرُّوماني عام 146 ق . م وما يهمُّنا هنا ما أثَّرت لدى النُّقَّاد اللَّاتينيّين ما كان نواة نظريَّة) المحاكاة (في عصر النَّهضة الأوروبيَّة ، في معنى مُحاكاة اللَّاتينيّين اليونان والسَّير على أثرهم رغبةً منهم في نهضة الأدب اللَّاتيني ، وهذا معنى آخر للمُحاكاة وهو يُغاير) المحاكاة (الَّتي دعا إليها أرسطو ، حين أراد أن يُبيِّن الصِّلة بين) الفنِّ (بعامَّة وبين) الطَّبيعة (، فللشَّاعر ـ عند نُقَّاد الرُّومان ـ أن يُحاكي العباقرة الَّذين هم بدورهم قد حاكوا الطَّبيعة

ب/ القواعد العامَّة للمُحاكاة عند الرُّومان :

أوَّلاً / إنَّ المحاكاة للكُتَّاب والشُّعراء مبدأ من مبادئ الفنّ لا غنى عنه .

ثانيّاً / إنَّ هذه المحاكاة ليست سهلة ، بل تتطلَّب مواهب خاصَّة عند الكاتب الَّذي يُحاكي ، شأنها في ذلك شأن مُحاكاة الطّبيعة .

ثالثاً / إنَّ المحاكاة يجب ألَّا تكون للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجوهر موضوع الأدب ومنهجه .

رابعاً / على مَن يُحاكي اليونانيّين أن يختار نماذجه الَّتي يتيسَّر له مُحاكاتها ، وأن تتوافر له قوَّة الحكم ؛ ليُميِّز الجيِّد من الرَّديء ، ليحاول مُحاكاة الجيِّد فيما تحتمل طاقته .

خامساً / إنَّ المحاكاة في ذاتها غير كافيّة ، ويجب ألَّا تعوق الشَّاعر ، وألَّا تحول دون أصالته

وفي ظلِّ نظريَّة(المحاكاة)تمَّ للأدب الرُّوماني الازدهار ، وتبعاً لهذه النّظريَّة كان النُّقَّاد والمؤرِّخون الرُّومانيّون يُقارنون بين هؤلاء الكُتَّاب ونماذجهم من اليونانيّين ، ممَّا يُعدُّ صورةً ساذجة للمُقارَنة ، لم تتعدَّ ما أشرنا إليه من حدود .

نتائج نظريَّة المُحاكاة : إنَّ

نظريَّة المحاكاة والَّتي تمتُّ بصلة إلى الدِّراسات المقارَنة تُقرُّ أنَّ الأصالة المطلقة مستحيلة ، فأكثر الشُّعراء والكُتَّاب أصالةً هم مَدينون لسابقيهم ، وأنَّ التَّأثير هو صبغة قد طُبعت عليها جميع الآداب والمدارس الأدبيَّة .

وأنَّ المحاكاة الرَّشيدة هي طريق إغناء اللُّغات ، غير أنَّ كلمة المحاكاة في ذاتها غامضة ، طالما أسفت إلى التَّقليد الَّذي يمحو الأصالة ، وإنَّما يقصد بها التَّأثير الهاضم الأصيل ، لا التَّقليد الخاضع الذَّليل .

كان القرن التَّاسع عشر في أوروبا عهد تقدُّم ملحوظ من النَّاحيَّة الاجتماعيَّة ، وكذلك في البحوث العلميَّة ، وتبع هذا التَّقدُّم رغبةً قويَّة في استيعاب نواحي البحث في العلوم الأدبيَّة من جهة ، وفي تعرُّض الشُّعوب بعضها ببعض من جهة أُخرى ، فكثرت الأسفار وتعدَّدت التَّراجم للآثار الأدبيَّة لمختلف الدُّول .

وقد عكف العلماء والكُتَّاب على تدريس مختلف الظَّواهر الاجتماعيَّة والأدبيَّة ، متعمّقين في بحوثهم محاولين إرجاع كلِّ ظاهرة إلى أسبابها ، وقد نشأ عن ذلك كلِّه اتّجاهان عامَّان أثَّرا في نشأة الأدب المقارَن ، وفي نموِّه عن طريقين مختلفين ، وهذا الاتّجاهان هما أ /الحركة الرُّومانتيكيَّة . ب /النّهضة العلميَّة .